الفصل الرابع

قبل أن يأخذها الطلق ..... ولدت

« إشعياء »

تُرى ما هو البعد الكاسح من أبعاد المؤامرة الماسونية التي من أجلها نطالب بصياغة قوانين الأمن والدفاع للوقاية من الطابور الخامس ، المكلّف بإنجاز مهمات الردّة ، والتحوّل والعمالة ... أي الألغام التلمودية المسماة بالماسون ، والمزروعة على امتداد الساحة الإسلامية ، بأسماء صريحة أو في أزياء بديلة ؟

لماذا تُحتّم الضرورة الحياتية - حتى من قَبيل دافع غريزة البقاء - وجوب إصدار تشريعات أمن في قوة كاسحات الألغام أو مانعات الصواعق ؟

ما هو دور الهيكل في المؤامرة الكبرى ؟

ما هى مكانة الهيكل على خارطة الخراب العالمي المنتظر ؟

ما هو وضع الهيكل في خطة « المهندس الأقدس » ؟

ومن وسط الألغام المزروعة - وليحفظنا الله - نتابع الأفكار التي تعشعش في الأوكار .

فعندما تنضج المؤامرة الماسونية على أكتاف المسخَّرين ، من البهائم العاملة العُمى البُكم الصُم - أو كما يسميها : كتل الأحجار والسقالة التي ستختفي ، ويقام المعبد الإسرائيلي في أورشليم ، ستُصاغ « الخطة العُظمى للمهندس الأقدس » أى الله - تبارك وتعالى - بشأن أمم الأرض .

يقول « ماكبرايد » في عرى صريح : « إنه بهذا وحده - بالسلوك الهادىء والصامت يمكن أن تُصاغ الخطة العظمى للمهندس الأقدس ، ومع أننا - في

وقت الحاضر - لا نرى تناسباً في حجم البناء الذي من أجله نعمل ، فسيأتي يوم تختفي فيه كتل الأحجار والسقالة ، ويقف معبد الأخوة الإنسانية والسلام ، متجلياً في أبهته وجماله ، الهيكل الذي تسكن فيه كل أمم الأرض في وحدة » . (ص ١١٦)

ما هي « الخطة العُظمى » « للمهندس الأقدس » ؟

ماذا يقصد بالسلوك الهادىء والصامت ؟

وهل صحيح أن الهيكل سيكون معبداً للأخوة الإنسانية والسلام تسكن فيه كل أمم الأرض في وحدة ؟

أما عن الخطة العُظمى للمهندس الأقدس فهى أن يجمع شعبه في صهيون عندما « يخرج قضيب من جذع « يسي » وينبت غصن من أصوله » (إشعياء ١١ : ١) أي عندما يأتي الملك المنحدر من بذرة « داوود » بن « يسي » - المثل الأعلى للملك والموعود أن يخرج من صلبه المسيح اليهودي المنتظر ، أي الملك الإسرائيلي الممسوح بالدهن المقدس من كهنة الهيكل ، ليحكم الدنيا من أورشليم ويكون : « الرب قد أسس صهيون وبها احتمى شعبه » (إشعياء ١٤ : ٣٣) حيث « يتأصل يعقوب ويزهر ويفرع إسرائيل ويملأون وجه المسكونة ثماراً » . (إشعياء ٢٧ : ٦) لأن الرب « سيسهر عليهم للبناء والغَرس » فلا يقول الأبناء بعد : « الآباء أكلوا حُصرماً وأسنان الأبناء ضرست » (إرميا ٣١ : ٢٧ - ٢٩) لأنه « هكذا قال رب الجنود : غِرْتُ على صهيون غيرة عظيمة وبسخط عظيم غِرْتُ عليها . هكذا قال الرب : قد رجعتُ إلى صهيون وأسكن في وسط أورشليم فتُدعي أورشليم مدينة الحق ، وجبل رب الجنود الجبل المقدس » (زكريا ٨ : ١ - ٣) .

وينطلق إشعياء بنذير اليوم الأسود الذي ينطلق فيه من الهيكل قرار الخراب العالمي بقيام « المملكة الإسرائيلية » ، حيث تكون « الأمة اليهودية » قد خرجت في راحة تامة « ذكرها » ، أي ملكها الموعود .

« صوت صحيح من المدينة وصوت من الهيكل (الذي يُسخِّر ماسونيونا وروتاريونا المسلمون لبنائه) صوت الرب مجازياً أعداءه (ومَنْ غيرنا ؟) قبل أن يأخذها الطلق ولدت . قبل أن يأتي عليها المخاض ولدت ذكراً . مَنْ سمع مثل هذا ؟ مَنْ رأي مثل هذه ؟ هل تمخض بلاد في يوم واحد أو تولد أُمة دفعة واحدة ؟ فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها . افرحوا مع أُورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها » (إشعياء ٦٦ : ٦ - ١٠) .

ويبتهج - كذلك - زكريا مبشراً بالملك وبالسلام : « ابتهجي جداً يا ابنة صهيون . احتفى يا بنت أورشليم ، هو ذا ملكك يأتي إليك . هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان ... يتكلم بالسلام للأمم ، وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض » (زكريا ٩ : ٩ - ١٠) .

أما السلام .. سلام « القرافة » ... سلام القبور لكل الأُمم فيوضحه إشعياء :

« اقتربوا أيها الأُمم لتسمعوا ، ويا أيها الشعوب اصغوا ، لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها . لأن الرب سخطاً على كل الأمم وحُمُوّاً على كل جيشهم قد حرمهم ، دفعهم إلى الذبح . فقتلاهم تُطرح وجيفهم تصعد نتاناتها وتسيل الجبال بدمائهم » (إشعياء ٣٤ : ١ - ٣) .

وعلى خرب الدنيا وأنقاض الشعوب ، ومن بين ركام الأرض ومن فوق جثث الضحايا المكشوفة ... من فوق الجبال التي تسيل دماً ، ومن وسط الجيف المنتنة للقتلى ، ينشد شعب الهيكل أُغنية النصر :

« في ذلك اليوم يُغَنَّي بهذه الأغنية في أرض يهوذا : لنا مدينة قوية يجعل الخلاص أسواراً ومترسة . افتحوا الأبواب لتدخل الأُمة البارة الحافظة الأمانة » .

(إشعياء ٣٦ : ١ - ٢) .

وبعد أن تدخل الأُمة البارة - أي اليهود - يكون السلام سلاماً لها وحدها ، وتكون صورته على النحو التالي :

« لأنه هكذا قضى الرب : ها أنذا أدير عليها سلاماً كنهر ومجد الأمم كسيل جارف فترضعون ، وعلى الأيدي تُحملون ، وعلى الركبتين تُدللُون (يالعدالة السلام ورقي التدليل) !! كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا وفي أورشليم تعزون .. لأنه هو ذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة (يالطيف !) ليرد بحمو غضبه وزجره بلهيب نار ، لأن الرب يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلى الرب » (إشعياء ٦٦ : ١٢ - ١٦) .

السلام إذن « لصهيون » وعروسها أورشليم التي اجتمع فيه بنوها فولدت ذكرها أو ملكها في راحة تامة - حسب السلوك الهادىء والصامت - « قبل أن يأخذها الطلق ولدت » ومن أورشليم ، مجازياً أعداءه - كل شعوب الأرض عدا اليهود بالطبع - يقدم بالنار والمركبات والأسلحة يقتل ويدمر ويحرق وينتقم ويمثل بالجثث .

وأما « السلام » المنبعث من « الهيكل » - الذي بَشَّرَ به « ماكبرايد » الماسوني « وزكريا » النبي . ووضحه « إشعياء » النبي .. - بخصوص الباقين من أمم الأرض « الغرباء » أو « الجوييم » المعفي عنهم للاستعباد والإنتاج والخدمة ... هذا السلام يعني أن يرضع الشعب الإسرائيلي مجد الأمم حيث تنهمر عليه الثروات كالسيل ، محمولاً على أيدي الأرقّاء مدللاً على الركبتين .

يالروعة الوحدة والأخوة الإنسانية التي ستسكن في ظل سلام الهيكل !!

ويلقي « إشعياء » مزيداً من الضوء ، ويوضح كثيراً من التفاصيل عن طبيعة هذه الأخوة بين الأمم الموحدة :

« قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليكِ . لأنه هى الظلمة تغطي الأرض ، والظلام الدامس للأمم . أما عليكِ فيُشرق الرب ومجده عليكِ يُرى فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك ، ارفعي عينيكِ حواليكِ وانظري قد اجتمعوا كلّهم جاءوا إليكِ . يأتي بنوكِ من بعيد وتُحمل

بناتك على الأيدي . حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غني الأمم تغطيك كثرة الجمال . بكران مدين وعيفة كلها تأتي من شبا ... كل غنم قيدار (أحد أبناء اسماعيل جد العرب) تجتمع إليكِ ، كباش نبايوت (الابن البكر لإسماعيل جد العرب) تخدمك » .

(إشعياء ٦٠ : ١ - ٧)

ألا من له أُذنان للسمع فليسمع !!

ويواصل إشعياء رسم الصورة الموعودة :

« وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك ، لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخراباً تُخرَّب الأمم ... وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين ، وكل الذين أهانوكِ يسجدون لدى باطن قدميكِ ويدعونكِ مدينة الرب صهيون قديس إسرائيل ... وترضعين لبن الأُمم وترضعين ثدي ملوك ... وشعبكِ كلهم أبرار . إلى الأبد يرثون الأرض » (إشعياء ٦٠ : ١٠ - ١٦) .

وهكذا تكون الأخوة والعيش في سلام !!

ولنا سؤال فيما يخصنا نحن ، أبناء « قيدار » و « نبايوت » - أى من يتبقى منا بعد المذبحة العامة .

أيُكتفي بابتراز ثرواتنا وامتصاص إنتاجنا ، نُرضعها بني عمنا ، أم لا بد من استرقاقنا ، في خضوع العبيد الساجدين لدى باطن الأقدام « ككباش » في صورة أشد بشاعة من الطريقة - إياها - يوم استعرضوا الأسرى ، عندما دخلوا « غزة » عام ١٩٥٦ ، وهتف أطفالهم على جسر « بنات يعقوب » : « موسى مات ... خلف زلمات ... محمد مات ... خلف بنات » !!

ولعل الصورة الرحيمة الودِّية ، عن نوع العلاقات المستقبَلة بين العرب واليهود هى تلك التي تعرضها مناهج التعليم الإسرائيلية ، على ما تتسم به الكتب المطبوعة المعلنة من حذر ومداراة أمام ما يُسمى بالرأى العام العالمي .

ففي قصيدة للشاعر اليهودي « ي . د . قمزون » بعنوان : « على قبر راحيل » يتحدث فيها عن صورة متخيَّلة عند هذا القبر الذي يؤمه اليهود على الطريق الموصل بين بيت لحم والقدس ، وهى صورة تُعبِّر عن السلام الذي يريده اليهود حيث يتخيل يهودياً يقف هناك فيمر به عربي على حماره ، وهو يحمل فوقه سلتين اثنتين من القرنبيط والبصل ، ويُجري الكاتب على لسان هذا العجوز العربي ، ما يُصوِّر حالة الاستعباد في المستقبل الذي يوده اليهود للعرب بعد السلام ، وقد جاء فيه ما ترجمته :

« حين مجيئك أيها اليهودي إلى بيت لحم سوف ترى عربياً عجوزاً راكباً حماره وسلتين إلى جانبه مثبتتين على متن الحمار . وبداخل سلتيه القرنبيط والبصل وعَلَم إسرائيل مرفوع بيده . يرفرف على الجانبين ويقول : أنا السلام . وعملي أن أبيع ما في سلتي . ما بين بيت لحم وأورشليم أذهب وأعود . ورغبتي بالسلام وليس بالحرب . سلام على إسرائيل وسلام على العرب » . (مظفر الحسيني : العلاقات والسلام في مناهج التعليم اليهودي - الدعوة - العدد ٣٩ - رمضان ١٣٩٩ هـ) .

والصورة الإنسانية « المسالمة » التي أبرزها « ي . د . قمزون » في قصيدته عن وظيفة « السكان العرب » على أرض « إسرائيل » الحالية ، في ظلال عَلَم السلام الإسرائيلي ، كحمَّالين للبصل والقرنبيط بين المدن اليهودية ، تتطابق تماماً مع تصور إشعياء عن دور الغرباء - الناجين من المذبحة الجماعية - كفَعلة في « مملكة إسرائيل الكبرى » الموعودة ، يرعون الأغنام ، ويحرثون الحقول لأصحاب « أرض الموعد » وينقلون الكروم لأصفياء الرب ، الآكلين لثروة الأمم المتآمرين على مجدها المباد ، أي الجالسين على تل خرابها .

يقول إشعياء في « الإصحاح الحادي والستين » :

« ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حرَّاثيكم وكرَّاميكم ،

أما أنتم فتُدعون كهنة الرب تُسمون خدام إلهنا . تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدها تتأمرون » (إشعياء ٦١ : ٥ - ٦)

* * *

وتتم خطة المهندس الأقدس بعد سلسلة من الخراب والتدمير على مستوى العالَم في ظلام الهيكل وبوحي منه .

وتختص مصر (واللّه العظيم ... مصر) بالنصيب الأوفى ، فيتوعدنا إشعياء في الإصحاح التاسع عشر :

« وحي من جهة مصر . هو ذا « الرب » راكب على « سحابة » سريعة وقادم إلى مصر ... « ويذوب » قلب « مصر » داخلها . و « أهيج » « مصريين » على « مصريين » فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه « مدينة مدينة » . وتُهرق « روح مصر » داخلها ... وتنشف المياه من البحر « ويجف » النهر ويبس وتُنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر ويتلف القصب والأسل . و« الرياض » على النيل على حافة النيل وكل مزرعة « تيبس وتتبدد » . في ذلك اليوم « تكون مصر » كالنساء فترتعد وترجف من هزة يد رب الجنود التي يهزها عليها . في ذلك اليوم يكون في « أرض مصر » (لا قدَّر اللّه) « خمس مدن » « تتكلم بلغة كنعان » - (يقصد اللُّغة العبرية) » (إشعياء ١٩ : ١ - ١٨) .

ألا من له أُذنان للسمع فليسمع !

ويشترك « العرب » - بالاسم الصريح - مع مصر في الوعيد بالخراب المنتظر ، يقول إشعياء :

« وحي من جهة بلاد العرب . في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين ، هاتوا ماء لملاقاة العطشان ياسكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبزه فإنهم من أمام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ومن أمام

القوس المشدودة ، ومن أمام شدة الحرب . فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأخير يُفنى كل مجد « قيدار » . وبقية عدد قسى أبطال « بني قيدار » تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم » (إشعياء ٢١ : ١٢ - ١٧) .

ويواصل « إشعياء » نذيره بالخراب : « وحي من جهة دمشق . هو ذا دمشق تُزال من بين المدن وتكون رجمة ردم » (إشعياء ١٧ : ١) .

ويشترك « إرمياء » مع « إشعياء » في رسم الصورة الموعودة لـ « دمشق » و « حماة » :

« عن دمشق . خزيت حماة وأرفاد .. في البحر اضطراب لا يستطيع الهدوء. وارتخت دمشق والتفتت للهرب . أمسكتها الرِدَّة وأخذها الضيق والأوجاع كماخض ... لذلك يسقط شبابها في شوارعها ويهلك كل رجال الحرب في ذلك اليوم ... يقول رب الجنود وأشعل ناراً في سور دمشق » (إرميا ٤٩ : ٢٣ - ٢٧) .

وعن بني « العرب » « من قيدار » فالتحريض عليهم دائم وتخريبهم وسلبهم باق ، وإحاطتهم بالخوف من كل جانب خط مستقيم :

« هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا إلى قيدار واخربوا بني المشرق . يأخذون خيامهم وغنمهم ويأخذون لأنفسهم شققهم وكل آنيتهم وجمالهم وينادون إليهم الخوف من كل جانب » (إرميا ٤٩ : ٢٨ - ٢٩) .

أما مصر فيخصها « إرميا » بالنصيب الأوفى من رجس الخراب كما خصَّها « إشعياء » من قبل . وبعد أن « يأكل السيف » « ويشبع » ، ويرتوي من « دم » المصريين ، « تسبي » العذاري المصريات ، وقد ملأ الأرض صراخهن و« يُسحبن » أسيرات في « خزى » عالمي إلى أرض « إسرائيل » في « جلعاد » .

ولا يفوت « إرميا » وهو يرسم صورة مصر المذبوحة أن يُزيِّنها بديكور الخلفية المحيطة بالمنطقة (Back ground) فتكون هناك مذبحة أُخرى في الفرات .

يقول سيدنا « ارميا » : « مَنْ هذا الصاعد كالنيل كأنهار تتلاطم أمواجها . تصعد مصر كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه . فيقول أصعد وأغطى الأرض . أهلك المدينة والساكنين فيها . فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه ، فيأكل السيف ويشبع ويرتوي من دمهم . لأن للسيد رب الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات . اصعدي إلى جلعاد وخذي بلسان يا عذراء بنت مصر . باطلاً تكثرين العقاقير . لا رفادة لك . قد سمعت الأمم بخزيك وقد ملأ الأرض عويلك لأن بطلاً يصدم بطلاً فيسقطان كلاهما معاً » (إرميا ٤٦ : ٧ - ١٢).

أما « الفلسطينيون » - سواء أكانوا من النسل العربي أو من الشعوب « الإيچية » التي عمرت فلسطين قبل بني إسرائيل بما يزيد على ألف عام وبعدهم - إن شاء اللّه - فلا بد من اجتثاثهم حتى يُفنوا عن بكرة أبيهم .

يقول « إرميا » : « من صوت قرع حوافر أقويائه من صرير مركباته وصريف بكراته لا تلتفت الآباء إلى البنين بسبب ارتخاء الأيادي . بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدون كل بقية تعين لأن الرب يُهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور . أتى الصلع على غزة . أهلكت آشقلون مع بقية وطائهم . حتى متى تخمشين نفسك . آه يا سيف الرب حتى متى لا تستريح . انضم إلى غمدك ، اهدأ واسكن . كيف يستريح والرب قد أوصاه . على أشقلون وعلى ساحل البحر هناك واعده » (إرميا ٤٧ : ٣ - ٧) .

ويُعبِّر « إرميا » عن حقده على « الشعوب السامية » الأخرى التي كانت مستريحة في منطقة الشرق الأوسط من قديم لأنه مستقرة وهادئة لا يطاردها أحد ولا تولول طلباً للخلاص من سنيد أو « متكل » .

فهو يغار من شعب موآب لأنه مستقر في بلاده لم يسبه أحد - كما حدث لإسرائيل وحضارته مزدهرة ، لذلك بقى طعمه فيه ورائحته لم تتغير ... فلماذا يكون إسرائيل وحده الأضحوكة والعار ؟ ... من دون شعوب المنطقة ؟

حرام ..... !!

« مستريح « موآب » منذ صباه وهو مستقر على دردیه ولم يفرغ من إناء إلى إناء ولم يذهب إلى السبي . لذلك بقى طعمه فيه ورائحة لم تتغير » .....
« فيخجل موآب من « كموش » كما خجل بيت إسرائيل من بيت « إيل » متكلهم » ... « أسكروه لأنه قد تعاظم على الرب فيتمرغ موآب في قبائه وهو أيضاً يكون ضحكة » ... « أفما كان إسرائيل ضحكة لك » !؟

(إرميا ٤٨ : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٢٧)

حتى « بنو عيسو » شقيق يعقوب وتوأمه يتوعدهم ابن عمهم « إرميا » بالهلاك والدمار ... هلاك النسل ودمار الديار ... كارثة ساحقة لا يستطيعون الاختباء منها ... تفنى نسلهم هم وإخوتهم وجيرانهم (بالمرة) فلا تُبقى لهم على أثر ... أما مدينة « بصرى » وما حولها من مدن فتكون خراباً أبدياً وتكون الدهشة لفظاعة الخراب الملعون .

ويطفح ورى كبد « إرميا » - الذي أكلته الضغينة والحسد - على لسانه المرير فينطلق برجس الخراب الرهيب :

« ولكنني جردت عيسو وكشفت مستتراته فلا يستطيع أن يختبيء ، هلك نسله وإخوته وجيرانه فلا يُوجد ... لأني بذاتي حلفت ، يقول الرب ، أن بصرة تكون دهشاً وعاراً وخراباً ولعنة وكل مدنها تكون خربا أبدية » .

(إرميا ٤٩ : ١٠ - ١٣)

أما « بنو عمون » فيخاف إرميا أن يرثوا إسرائيل فينفحهم « بنبوته » ... ويقذفهم بوعيد خرابه ، ولا ينسى أن يعد محرقة لإبادة نسائهم بالنار .

« عن « بني عمون » . هكذا قال الرب . أليس لإسرائيل بنون أو لا وارث له ، لماذا يرث ملكهم جاد وشعبه يسكن في مدنه ... لذلك ها أيام تأتي ، يقول الرب ، وأسمع في « ربة » بني عمون جلبة حرب وتصير تلاً خرباً وتُحرق بناتها بالنار فيرث إسرائيل الذين ورثوه ، يقول الرب » (إرميا ٤٩ : ١ - ٢) .

وكأن الرب في النهاية قد لام نفسه وندم على قوله إنه سيهدم ما بناه ويقتلع ما غرسه . وقرر أخيراً :

« إن كنتم تسكنون في هذه الأرض فإني أبنيكم ولا أنقضكم ، وأغرسكم ولا أقتلعكم ، لأني ندمت عن الشر الذي صنعته بكم » .

ذلك أن الرب : « حين قسم العلى للأمم حين فرّق بنى آدم نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل ... إن قسم الرب هو شعبه يعقوب حبل نصيبه » .

ويُسهم « حزقيال » في قنبلة الحقد التي ستدمر بها خطة « المهندس الأقدس » دنيا الناس والحيوان والنبات والجماد . ويشارك « إشعياء » و « إرميا » في رجس الخراب الموعود .

ويتنبأ علي « صور » : « فصور » الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة ، الكاملة الجمال وتخومها في قلب البحور وبنّاؤوها تمموا جمالها من سرو « ستير » ومن أرز « لبنان » وبلوط باشان وعاج جزائر كتيم وكتان مطرز من « مصر » وأسمانجوني وأرجوان من جزائر « أليشة » . وأهل « صيدون » ملاحوها . وفي جيشها رجال من « فارس » و« لود » و « فوط » رجال حرب . و « بنو أرواد » مع جيشها على الأسوار . والأبطال في البروج قد علّقوا أتراسهم على الأسوار . و « ترشيش » تاجرتها بالفضة والحديد والقصدير والرصاص ... وبلاد كثيرة تاجرتها بالعاج والأبنوس وملأوا أسواقها بالبهرمان والأرجوان والمطرز والمرجان والياقوت والخيل والفرسان والبغال و « يهوذا » تاجرتها بالحنطة والحلوى والعسل والزيت والبلسان . و« دمشق » تاجرتها بخمر « حلبون » . والصوف الأبيض . و« ددان » تاجرتها بطنافس للركوب و « العرب » وكل رؤساء « قيدار » تاجروها بالخرفان والكباش والأعتدة ..... » إلخ .

فلماذا يكون لصور كل هذا العز والخير والمتعة والرفاهية ؟ وبنو إسرائيل أسرى في سبي بابل ؟

حرام !!

وعلى ذلك يقذفها « حزقيال » بقنبلة حقد تقول :

« فأخرج ناراً من وسطك فتأكلك وأصيرك رماداً على الأرض أمام عيني كل من يراك . فيتحير منك جميع الذين يعرفونك بين الشعوب وتكون أهوالاً ولا توجد بعد إلى الأبد » (حزقيال ٢٨ : ١٨ - ١٩) .

وأما « صيدون » فسيرسل عليها الرب من خلال نبوءة حزقيال :

« وأرسل عليها وباءً ودماً إلى أزقتها ، ويسقط الجرحى في وسطها بالسيف الذي عليها من كل جانب فيعلمون أني أنا الرب » (حزقيال ٢٨ : ٢٣) .

فربما ذلك يُشفى غليل بني إسرائيل وقد أكلت صدورهم الضغينة والبغضاء .

ويتم ذلك عندما يجمع « رب الجنود » : « بيت إسرائيل من الشعوب الذين تفرَّقوا بينهم ، وأتقدس فيهم أمام عيون الأمم يسكنون في أرضهم التي أعطيتها لعبدي يعقوب » .(حزقيال ٢٨ : ٢٥) .

أما « مصر » فكما خصها كل من « إشعياء » و « إرميا » بالنصيب الأوفى من رجس الخراب فكذلك « حزقيال » يشاركهما نفس الدرجة الحاقدة .

ويبدو أن هناك اتفاقاً بين السادة الأنبياء على « مصر » - حجر الزاوية وبيت القصيد - في عملية الخراب العالمي المنبثقة من خطة « المهندس الأقدس » .

يقول « حزقيال » : « ويعلم كل سكان « مصر » أني أنا الرب مع كونهم عكاز قصب لبيت إسرائيل عند مسكهم بك بالكف انكسرت ومزقت لهم كل

كتف ، ولما توكأوا عليك انكسرت وقلقلت كل متونهم ... تكون أرض « مصر » مقفرة وخربة ... لذلك ها أنذا عليك وعلى أنهارك وأجعل أرض « مصر » خرباً خربة مقفرة من « مجدل » إلى « أسوان » إلى تخم « كوش » ، لا تمر فيها رجل إنسان ولا تمر فيها رجل بهيمة ولا تسكن أربعين سنة ، وأجعل أرض « مصر » مقفرة في وسط الأراضي المقفرة ، ومدنها في وسط المدن الخربة تكون مقفرة أربعين سنة ، وأشتت المصريين بين الأمم وأبددهم في الأراضي ، لأنه هكذا قال السيد الرب : عند نهاية أربعين سنة أجمع المصريين من الشعوب الذين تشتتوا بينهم وأرد سبي « مصر » وأرجعهم إلى أرض فتروس إلى أرض ميلادهم ويكونون هناك مملكة حقيرة » (حزقيال ٢٩ : ٦ - ١٤) .

و « مصر » - مصرنا الحبيبة مسيحيين ومسلمين - التي يعتبرها « حزقيال » وغيره من « أنبياء » بني إسرائيل المزعومين « القصبة المهشمة » لم يسبق أن سباها أحد أو اقتلع شعبها غاز وألقاها في بلاده كما حدث لليهود .. فـ « مصر » عند النكبات ومنذ « قمبيز » أو البطالمة أو الرومان في التاريخ القديم أو الغزو الأوروبي في العصر الحديث هى التي ذاب فيها ما تبقى من الوافدين . و« مصر » هى التي كانت تصنع « القوقعة » حول كيانها الأصيل عندما يداهمها الخطر ، فكانت تستعصى على ألف نبوءة ونبوءة لحزقيال ولألف شريك وشريك من أمثال « حزقيال » . ويوم جاءها العرب المسلمون برسالتهم الخالدة فاتحين وصارت مصر عربية مسلمة ظل أهلها على أرضهم يعتنقون الدين الجديد ويتكلمون لغة الدعاة ويستوعبون تراث الإسلام ويفتدونه بالمهج والأرواح ويعطونه أعظم ما في تاريخهم من أمجاد . والذين استقروا من العرب في وادي النيل عاشوا مع أهلها في رباط مستمد من آصرة العقيدة ومزجهم بهم نسب وشيج .

ولا يكتفي « حزقيال » بهذا الخراب المنتظر بل لا يزال يتنبأ :

« وكان إليَّ كلام الرب قائلا يابن آدم تنبأ وقل هكذا قال السيد الرب : ولولوا يالليوم . لأن اليوم قريب . ويوم للرب قريب يوم غيم . يكون وقتاً للأمم . ويأتي سيف على « مصر » ويكون في « كوش » خوف شديد عند سقوط القتلى في « مصر » ويأخذون ثروتها وتُهدم أُسسها ، يسقط معهم بالسيف كوش وفوط ولود وكل اللفيف وكوب وبنو أرض العهد . هكذا قال الرب . ويسقط عاضدو مصر وتنحط كبرياء عزتها . من « مجدل » إلى « أسوان » يسقطون فيها بالسيف . يقول السيد الرب . فتقفر في وسط الأراضي المقفرة وتكون مدنها في وسط المدن الخربة . فيعلمون أني أنا الرب عند إضرامي ناراً في « مصر » ويكسر جميع أعوانها . في ذلك اليوم يخرج من قِبلي رسل في سفن لتخويف « كوش » المطمئنة فيأتي عليهم خوف عظيم كما في يوم « مصر » لأنه هو ذا يأتي » (حزقيال ٣٠ : ١ - ٩) .

ويواصل « حزقيال » إفراز أحقاده على « مصر » كأن يتنبأ بخرابها على يد « نبوخذ نصر » ملك بابل الكلداني - قاهر بني إسرائيل ومحطم « هيكلهم » وسابيهم أسرى أذلاء في أرض الرافدين - كعادة أنبيائهم في تحريض « مصر » على « بابل » ، و « بابل » على « مصر » ، و « آشور » على « بابل » ، و « آشور » على « مصر » ... فطرة وطبعاً وغريزة وسليقة . لكن ذلك ولّى زمانه وإن بقى سواد القلوب وغل الصدور على « مصر » صلاة كل يوم لبني إسرائيل . ومن ثَمَّ فلا داعي لنقل هذه النبوءات في هذا المقام . نحن معنيون فقط « بخطة المهندس الأقدس » التي ستُدمِّر الدنيا وصولاً إلى « المملكة الكبرى » .

ونمضي مع « حزقيال » :

فلأن غنم الرب « شعبه المختار » قد صار غنيمة - يقول « حزقيال » عن الرب :

« هكذا قال السيد الرب : ها أنذا على الرعاة وأطلب غنمي من يدهم وأكفهم عن رعي الغنم ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد فأخلّص غنمي من أفواههم فلا تكون مأكلاً ، لأنه هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها . كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتتة ، هكذا أفتقد غنمي وأخلّصها من جميع الأماكن التي تشتت إليها في يوم الغيم والضباب . وأخرجها من الشعوب وأجمعها من الأراضي وآتي بها إلى أرضها وأرعاها على جبال إسرائيل وفي الأودية وفي جميع مساكن الأرض » .

(حزقيال ٣٤ : ١٠ - ١٣) .

حيث يرعون : « المرعى الجيد وبقية مراعيكم تدوسونها بأرجلكم ، وأن تشربوا من المياه العميقة والبقية تُكدِّرونها بأقدامكم » (حزقيال ٣٤ : ١٨) .

على طريقة تسميم الآبار للآخرين .

ألم يشرب الإسرائيليون وبهائمهم .. ؟ فلماذا لا يكون الماء « للأمميين » غَوراً ؟

أيصح أن يكون « للجوييم » هذا الماء المَعين ؟

منتهى العدالة ... والعيش في سلام !!

وتمضي « نبوءة » حزقيال على طريق « بشارته » بمقدم « الملك » ..... (داوود الجديد) ... حيث يقول الرب :

« وأقيم عليها راعياً واحد فيرعاها عبدي « داوود » هو يرعاها وهو يكون لها راعياً . وأنا أكون لهم إلهاً وعبدي « داوود » رئيساً في وسطهم » .

(حزقيال ٣٤ : ٢٣ - ٣٤) .

من أجل ذلك اليوم الموعود يتنبأ حزقيال بخراب أدوم وجبله سعير ، ولا يذكر معروفاً صنعه أدوم عندما لجأ بعض اليهود إلى جبال سعير « أدوم » هرباً من

سبي بابل وعاشوا هناك في وسط بني عمهم لكنها (قلة الأصل) - الحسد الآكل للأكباد والحقد الأسود الذي يصبغ القلوب فكما خَرِبَ إسرائيل فلا بد أن يُخَرَّب أدوم كذلك ... حتى لو كان أدوم « عيسو » هذا ، شقيقاً وتوأماً لإسرائيل « يعقوب » وابناً لإسحاق وحفيداً لإبراهيم .

يقول حزقيال : « هكذا قال الرب : من أجل أن « أدوم » قد عمل بالانتقام على بيت « يهوذا » وأساء إساءة وانتقم منه ، لذلك هكذا قال السيد الرب وأمد يدي على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيِّرها خراباً من « التيمن » وإلى « دَدان » يسقطون بالسيف » (حزقيال ٢٥ : ١٢ - ١٣) .

أما « الفلسطينيون » فالعداوة أبدية والمذبحة الجماعية وعدهم المنتظر .

يقول « حزقيال » : « هكذا قال السيد الرب : من أجل أن الفلسطينيين قد عملوا بالانتقام وانتقموا نقمة بالإهانة إلى الموت للخراب من عداوة أبدية . فلذلك ، هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أمد يدي على الفلسطينيين وأستأصل الكريتيين وأهلك بقية ساحل البحر . وأجرى عليهم نقمات عظيمة بتأديب سخط فيعلمون أني أنا الرب إذ أجعل نقمتي عليهم » (حزقيال ٢٥ : ١٥ - ١٧).

وأما « دانيال » فيشارك هو الآخر بنصيب في خطة « المهندس الأقدس » ويتوعّد مصر بدفعة خراب لا فكاك منه :

« ويمد يده على الأراضي وأرض مصر لا تنجو . ويتسلط على كنوز الذهب والفضة وعلى كل نفائس مصر . واللوبيون والكوشيون عند خطواته . وتفزعه أخبار من الشرق ومن الشمال ، فيخرج بغضب عظيم ليخرب وليحرم كثيرين . وينصب فسطاطه بين البحور وجبل بهاء القدس ويبلغ نهايته ولا معين له » .

(دانيال ١١ : ٤٢ - ٤٥)

وبعد خراب مصر - لا قدَّر الله - وغيرها من أمم الأرض تكون المملكة الموعودة قد قامت بناء على « خطة المهندس الأقدس » حيث يمتلكها قديسو العلي (شعب الله المختار) تحت زعامة الملك اليهودي المنحدر من بذرة داوود .

« أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين » .

و « يوئيل » كغيره من الأنبياء . له سهم أساسي في الخطة ، فهو يتنبأ على صور وصيدون وجميع دائرة الفلسطينيين ببيع بَنيهم وبناتهم بيد بني يهوذا ليبيعوهم للسبائيين (النخَّاسين ... تجار الرقيق) (يوئيل ٣ : ٤ - ٨) .

ومع أنه في ذلك الزمان - يوم قيام « مملكة صهيون » ستمتلىء البيادر بالحنطة وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً ، ويكثر التين والكروم ، وتقطر الجبال عصيراً وتفيض التلال لبَناً ، وتفيض جميع ينابيع يهوذا ماء ، ويخرج من بيت الرب ينبوع يسقي وادي السنط ... إلا أن يوئيل - كغيره من حضرات الأنبياء - حتى في يوم الفرح هذا يقذف بوعيد الخراب :

« مصر تصير خراباً وأدوم تصير قفراً خرباً من أجل ظلمهم لبني يهوذا الذين سفكوا دماً بريئاً في أرضهم . ولكن يهوذا تسكن إلى الأبد وأورشليم إلى دور فدور وأبريء دمهم الذي لم أبرئه والرب يسكن في صهيون » .

(يوئيل ٣ : ١٩ - ٢١)

و « عاموس » - أيضاً - يشارك في الخطة إياها . وخراب مصر على لسانه المرير :

« قد أقسم الرب بفخر يعقوب أني لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم . أليس من أجل هذا ترتعد الأرض وينوح كل ساكن فيها وتطمو كلها كنهر وتفيض ، وتنضب « كنيل مصر » ، ويكون في ذلك اليوم ، يقول السيد الرب : أني أُغيِّب الشمس في الظهر وأُقتِّم الأرض في يوم نور . وأحوِّل أعيادكم

« نَوحاً » وجميع أغانيكم « مراثي » ، وأصعد على كل الأحقاء مسحاً وعلى كل رأس « قرعة » وأجعلها « كمناحة الوحيد » وآخرها يوماً مراً » .

(عاموس ٨ : ٧ - ١٠)

ولكي لا يفلت أحد من خراب مصر المنتظر - لا قدَّر الله - فإن « عاموس » يتوعدنا بالمجاعة العامة والظمأ الجماعي حيث ينضب نهر النيل وينتهي اسمه إلى الأبد :

« والسيد رب الجنود الذي يمس الأرض فتذوب وينوح الساكنون فيها وتطمو كلها كنهر وتنضب كنيل مصر . الذي بنى في السماء علاليه وأسس على الأرض قبته الذي يدعو مياه البحر ،يصبها على وجه الأرض يهوه اسمه » .

(عاموس ٩ : ٥ - ٦)

أرأيتَ ؟

أرأيتَ كيف يخص اليهود « مصر » في « كتابهم المقدس » وفيما ينطق به أنبياؤهم : إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال ويوئيل وعاموس ... وغيرهم ؟

أهذا هو الذي يُسمى سماحة وقيم روحية نابعة من الأديان ؟

أم أنه « ورى أكباد » و « غل صدور » طفحت شعابها بصديد « البغضاء » وسكبتها مرارة معتلة « بالحقد والضغينة » في أفواه نطقت برجس الخراب ؟

إن ما ينتظر « مصر » لو نجحت خطة « المهندس الأقدس » - لا قدَّر الله - ليس إلا الدمار الرهيب والمذبحة الجماعية والفناء التام فلا تبقى مصر بشراً وأرضاً وعمراناً وزرعاً وماءً .

أهذا هو « الدين » الذي يُراد إشراكه في « مجمع » يُقال إنه سيقام « لوحدة الأديان » ؟

أم هو تاريخ أسطوري - قوامه المؤامرة - قميئ ، ومؤامرة قائمة تعشعش في قبح ذلك التاريخ ؟

ألا من له أذنان للسمع فليسمع !!

ولا ينخدعن أحد من الطيبين أو السذج أو الأغرار فيداخله نوع من الأمل أو الرخاء في علاقات ودية مع يهود ويعشم - من ثَمَّ - خيراً في سلام أممي بين « بني إسرائيل » وبين باقي « بني آدم » عندما سمع ما قاله « بيجن » و « كارتر » وترجمه المترجم بالعربية عن طريق البث المباشر صوتاً وصورة أثناء توقيع « معاهدة السلام » بين مصر وإسرائيل ... نقلاً عن النبي « ميخا » الذي قال :

« ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب . وتسير أمم كثيرة ويقولون : هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيُعلّمنا من طرقه ونَسْلُكَ في سبله لأنه من « صهيون » تخرج الشريعة ومن « أورشليم » كلمة الرب . فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل . لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب في ما بعد . بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرعب لأن فم رب الجنود تكلم . لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه ونحن نسلك باسم الرب إلهنا إلى الدهر والأبد » . (ميخا ٤ : ١ - ٥)

وهذا كلام جميل ما في ذلك شك ، حتى وإن تم في آخر الزمان أو عند قيام « مملكة صهيون الكبرى » بعد إتمام « الخطة العظمى للمهندس الأقدس » ومن عناصرها : الجثث المكشوفة من فوق الجبال التي تسيل دماً ومن وسط الجيف المنتنة للقتلى ، وبعد أن ينشد شعب الهيكل أغنية النصر على أنقاض الشعوب ومن فوق تل الخراب العالمي .. وحتى وإن رضي رب الجنود على غيرته وغيظه من الآلهة الأخرى واعترافه بوجود هذه الآلهة الغريبة شريكة له في التشريع والعبادة وسلوك العباد ... ورضاه بالآلهة المسبوكة والحيوانات والأوهام والأوثان المعبودة ومنها البقر والثعالب والنار ، وروحي بوذا وبراهما ، والعفاريت والأصنام ... « لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه » .

لكن « ميخا » لا يلبث بعد أربع آيات أو أعداد في نفس الإصحاح (الرابع) أن يفضح الخطة عن أفكار الرب وقصده - بوحي من يهوه طبعاً - التي لم تعرفها أو تفهمها الفئة المتبقية من الشعوب - « الأمميين » (بعد المذبحة العامة) والتي صدّقت النداء فصعدت إلى جبل الرب وإلى بيت يعقوب لتتعلم من طرقه وشريعته ...

إن هؤلاء بعد أن « طبعوا » سيوفهم « سككاً » ورماحهم « مناجل » ، أي ألقوا بأسلحتهم من ورائهم ، يستدرجهم « الرب » حيث يُلاقون مصيرهم المحتوم في « المصيدة الربانية » على « هذه الصورة » التي جسّمها (ميخا) : « يعافها اللصوص وقطاع الطُرق ومحترفو القتل » الذين يربأون بأنفسهم ألا يحموا من استجار بهم أو يسلمونهم لمن يطلبونهم ... بل يعيشون في ظلالهم ضيوفاً آمنين من كل خطر .

أما « ميخا » فيقول : « والآن قد اجتمعت عليك « أُمم كثيرة » الذين يقولون : لتتدنس ولتتفرس عيوننا في صهيون . وهم لا يعرفون أفكار الرب ولا يفهمون قصده أنه قد « جمعهم كحزم إلى البيدر » . قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً « فتسحقين شعوباً كثيرين » وأحرم غنيمتهم للرب و « ثروتهم » لسيد كل الأرض » .

(ميخا ٤ : ١٠ - ١٣)

وهكذا أصبح المغفلون « حزم قش » قد أُخذت إلى « بيدر » ، جاهزة لأن تدرسها وتسحقها « بنت صهيون » بقرنها الحديدي و « أظلافها » النحاس « غنيمة محرمة للرب » .

هذا هو سلام « أطيب » الأنبياء .

« السلام » الذي يريده ويفاخر به اليهود ومن يشاركونهم نفس الاعتقاد .

ألا من له أذنان للسمع فليسمع !!

ويوم تتم خطة « المهندس الأقدس » يكون الرب قد استخلص كل شعب إسرائيل من بين جميع الشعوب فلا يضيع فرد واحد منهم .

يقول « عاموس » : « لأنه ها أنذا آمر فأُغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يُغربَل في الغربال حبة لا تقع إلى الأرض ... لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم » (عاموس ٩ : ٩ - ١٢) .

ويقول « إشعياء » : « ويكون في ذلك اليوم أن الرب يجني من مجرى النهر إلى وادي مصر . وأنتم تلقطون واحداً واحداً يا بني إسرائيل » .

(إشعياء ٢٧ : ١٢)

وإن هى إلا « لحيظة » ، يختبيء فيها الشعب المختار من وراء أبوابه آمنا من تسرب أي لفحة غضب ، ويخرج « يهوه » ليُجري المذبحة الجماعية للأمم :

« هلم يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك ، اختبيء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب ، لأنه هو ذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فتكشف الأرض دماءها ولا تغطى قتلاها » (إشعياء ٢٦ : ٢٠ - ٢١) .

وعند هذه المرحلة تكون الصهيونية قد استهلكت كل أنصارها وعملائها من القوى العظمى التي تساندها فلا تعد في حاجة إليها .. فلا أمريكا ولا روسيا ولا أوروبا ولا يحزنون :

« ويكون في ذلك اليوم أن بقية إسرائيل والناجين من بيت يعقوب لا يعودون يتوكلون أيضاً على ضاربيهم بل يتوكلون على الرب قدوس إسرائيل » .

وتُؤمِّن خطة « المهندس الأقدس » أرض المملكة وما يحيط بها من أراض بعيدة غريبة وفق مبادئ عقائدية وتشريعية تمهد الطريق لقيام المملكة التي سيعلن ملكها من الهيكل بُشرى « السلام العالمي » .

فقد كان رب الجنود قد شرع لشعبه من قبل قوانين الحرب والسلام في سفر « تثنية الإشتراع » و « يشوع » و « صموئيل الأول » وغيرها من الأسفار .

حدّد لهم أسلوب معاملة الشعوب المحيطة بهم القريبة منهم ؛ أى التي تسكن أرض الموعد في المنطقة الداخلة في حدود المملكة الموعودة من النيل إلى الفرات .

وبيّن لهم طريقة معاملة الشعوب البعيدة ؛ أي التي تقطن البلاد الأخرى فيما وراء حدود المملكة .. فيما بعد « جاسان » غرباً (محافظة الشرقية في مصر) ، وما بعد « الفرات » شرقاً ، وفيما وراء « العقبة » جنوباً ، وما بعد « صيدا » من الشمال .

فإذا قدمت إسرائيل لحرب « شعوب الدائرة الثانية » (البعيدة) وأنذرتها بالسلام . وآثرت هذه الشعوب السلامة وفتحت أبوابها لليهود فتكون هذه الشعوب للتسخير والاستعباد ، هذا في حالة الصلح والسلام . أما إذا كانت الحرب فقد أمرهم « رب الجنود » بقتل جميع الذكور وإبادتهم نهائياً . وأما النساء والأطفال والبهائم والأموال والديار وكل ما تبقى بعد هلاك الرجال والشباب فهى غنيمة مباركة من الرب يأكلها شعبه بالهناء والشفاء .

هذا عن الصورة « الرحيمة » ..

أما شعوب « الدائرة الأولى » (المنطقة الداخلة في حدود مملكة قديسي العلى) من النيل إلى الفرات ، فقرار الإعدام لكل شيء فيها نهائي ... لا نقض فيه ولا إبرام ... سواء سالمت هذه الشعوب أو حاربت ... صالحت واستسلمت أو غضبت وتمردت ... مذبحة جماعية ... لا تستبقى نسمة واحدة : رضيعاً أو طفلاً أو امرأة أو شيخاً .. ولا بهيمة : هزيلة أو سمينة .

وهذه هى الشريعة تتكلم :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلاح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها لك للتسخير ويُستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك

الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يُعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة : بل تحرمها تحريماً ، الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك » (تثنية. ٢٠: ١-١٧) .

وحدث « لأريحا » التي فاجأها بنو إسرائيل ليلاً والناس نيام بعد أن سهّلت لهم « راحاب » الزانية الخائنة عملية الدخول إلى ديار قومها ما يقصه « سفر يشوع » في عرى صريح :

« ... وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ... وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب ... واستحيا « يشوع » « راحاب » الزانية وبيت أبيها وكل ما لها . وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم . لأنها « خبأت » المرسلين اللّذين أرسلهما « يشوع » لكي يتجسسا أريحا » (يشوع ٦ : ٢١ - ٢٥) .

وقال الرب « لشاول » :

« هكذا يقول رب الجنود . اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعفوا عنه ، بل اقتل رجلاً وامرأة . طفلاً ورضيعاً . بقراً وغنماً . جملاً وحماراً » .

(صموئيل الأول ١٥ : ٢ - ٣)

« وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر . وأمسك « أجاج » ملك عماليق حياً و « حرم جميع الشعب بحد السيف » . وعفا شاول والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والثنيان والخراف وعن كل الجيد ولم يرضوا أن يحرموها . وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرموها » .

(صموئيل الأول ١٥ : ٧ - ٩)

أى أن بني إسرائيل بقيادة شاول قد التزموا بتنفيذ أمر الرب وأبادوا عن

طريق المذبحة الجماعية جماعة من البشر من حويلة إلى شور مقابل مصر باستثناء فرد واحد هو « الملك أجاج » الذي أسره شاول ... وأهلكوا جميع الماشية إلا خيارها ، وربما يكونوا قد عفوا عنها بغرض أكلها أو الاستفادة منها ، ومع ذلك غضب الرب لأنه اعتبر شاول قد انتهك القانون الإلهي وانحرف عن تطبيق الشريعة لما استثنى ملك عماليق من الذبح وعفا عن خيار الماشية وكان سبباً مفضياً إلى ندم الرب أن جعل شاول ملكاً وتركه في النهاية ليُدق جسمه بالمسامير على أسوار « بيت شان » .

« وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً : ندمت على أني جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يُقم كلامي » (صموئيل الأول ١٥ : ١٠ - ١١) .

وعبثاً حاول شاول أن يلتمس الغفران ويعتذر بأنه خاف من الشعب الذي استحيا خيار الماشية وأخذها غنيمة ولم يقتلها لأجل الذبح للرب .

« فقال شاول لصموئيل : أخطأتُ لأني تعديتُ قول الرب وكلامك لأني خفت من الشعب وسمعت لصوتهم . والآن فاغفر خطيتي وارجع معي فاسجد للرب ، فقال صموئيل لشاول : لا أرجع معك لأنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكاً على إسرائيل » (صموئيل الأول ١٥ : ٢٤ - ٢٦) .

وطلب صموئيل النبي . أن يقدِّموا إليه « أجاج » ملك عماليق ، فذهب إليه « الأسير » فرحاً وقد ظن أن مرارة الموت قد زالت ، لكنه واجه الحقيقة : المتميزة الغريبة لبني إسرائيل وربهم الخاص وأنبيائهم المزعومين :

« فقطع صموئيل أجاج أمام الرب في الجلجال » (صموئيل الأول ١٥:٢٣).

وهنا لا بد من وقفة بمناسبة قوانين الحرب والسلام التي فرضها « يهوه » على شعبه المختار فريضة أبدية والتزم بها شعبه عقيدة وعبادة ، شريعة ونهجاً وطريقاً وترانيم كما نقص « التوراة » (أسفار موسى الخمسة) وأسفار « الأنبياء » و « التواريخ » و « الملوك » و « المزامير » .

إن هذه الصورة التشريعية والتنفيذية لقوانين الحرب والسلام الخالدة « لأنه

لا أحد يستطيع أن ينقض الناموس ولأن كلمة الرب مثبتة في السموات إلى أبد الدهور » . تسمو أمامها جرائم أعتى المجرمين . وعلى مدار التاريخ البشري كله لم يثبت أن أحداً (من الخيابي) من قطّاع الطُرق والقتلة وعصابات النهب والسلب والمرتزقة المؤجّرين للقتل ومصاصي الدماء من « جنكيزخان » و « هولاكو » والأسطوري « داراكولا » والإرْهابي « كارلوس » ... وغيرهم من الساقطين ... أن أحداً منهم لم يرق إلى هذا الحد الذي وصل إليه « يهوه » رب الجنود ولا دونه بآلاف الدرجات .

وقد وصف الأستاذ خليفة التونسي « يهوه » رب الجنود في مقال له بمجلة الرسالة (السنة ١٨ : العدد ٨٠٥ في ٦ / ١٢ / ١٩٤٨) - فقال :

« إن الإله يهوه كما وصفته التوراة شيطان متوحش شرير شغوف بالفساد وإراقة الدماء ، وإن قاريء التوراة إذا حاول أن يتبين صفات « يهوه » رب الجنود وسيرته مع « شعبه المختار » وجب عليه أن يتصوّره مخلوقاً شيطانياً مسرفاً في الحب والتدليل « لشعبه المختار » وهو أعجز المخلوقات حيلة في سياستهم وسياسة خصومهم ، فبينما هو راض عنهم كل الرضا إذا هو ساخط عليهم كل السخط وهو مفرط في الحقد والكراهية لأعدائهم - فهو لذلك ولأنه لا حد لقدرته ولعدم حيلته - يُنزل ضرباته على هؤلاء الأعداء في إسراف وجنون وقسوة لا حد لها . وينتقم لأتفه الأسباب أبشع الانتقام ، وهو رغم قدرته التي لا حد لها - مخلوق جبان يهاب ما لا يهابه إنسان ذو شجاعة عادية ، فهو ينكص عن محاربة بعض أعدائه وأعدائهم ، لأن للأعداء في الحروب عجلات قوية ، فهو يترك اليهود وشأنهم ، ولا يخوض معهم في حربهم لهم خوفاً من هذه العربات ... إلى غير ذلك من الفروض المستحيلة التي لا يستطيع العقل أن يحتفظ بوحدته معها . ويكاد ينسحق تحت وطأتها » .

ولا يقولن أحد إن أسفار « التثنية » أو « يشوع » أو « صموئيل الأول » أو « القضاة » أو « إشعياء » أو « إرميا » وغيرها قد انتهى دورها وولّى

زمانها وأن ما حدث كان ظرفاً خاصاً لمرحلة تاريخية بعينها ... لا ... إنها العقيدة الواجبة التطبيق والشريعة المرعية الأحكام والناموس الأبدي الشامل النفاذ وصلاة كل يوم وميراث الآباء للأبناء . فالمملكة الموعودة لم تقم بعد ولا زال صديقنا الجديد « ديان » يستمتع بآخر كتاب له « أن نعيش مع التوراة » أو « الحياة مع التوراة » ..... !!

وقيام المملكة كما قامت الدولة لا بد على وجه الحتم أن ينطلق من هذه العقيدة ويصدر عن ذلك التصور .

أقول هذا ونحن مقبلون على التعامل في ظل علاقات طبيعية وسلام عادل ودائم !!

فكيف يمكن التعامل مع أُناس حتِّمت عليهم عقيدتهم وشريعتهم أن يُنفِّذوا وسيُنفِّذوا ما نقلنا بعضه رغم أننا لسنا مشغولين بمناقشة الآخرين ... وبين أُناس يُعلِّمهم دينهم أن من قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً ... وأن الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب .. وأن اللّه خلق البَشر شعوباً وقبائل ليتعارفوا .. وأن أكرمهم عند اللّه أتقاهم ... وأن امرأة دخلت النار بسبب قطة حبستها فماتت جوعاً ... وبيَّن لهم طريقة ذبح الحيوان بغرض أكله بالطريقة التي لا تُوجعه في لحظاته الأخيرة ... وحرَّم عليهم أكل المخنوقة من الماشية .

إن البون شاسع وعميق بين الاعتقاد في الإله الواحد الرحمن الرحيم الرب الأحد للناس جميعاً ، وبين اعتقاد الآخرين الذين جعلوه ينحط من مقام « رب العالَمين » إلى درك « الإله القومي » الخاص بشعب دون الشعوب ، والذي لا يشبع من القتل ولا يرتوي سيفه من الدم ولا يمل من التهديد والوعيد ... نقمته على كل الشعوب ، وسيفه على كل البشر ، وتهديده ووعيده للناس جميعاً ... قد أغلق بابه دون كل بني آدم ، وفتحه فحسب لأولاد يعقوب ... رب الجنود سيقتل ... رب الجنود سيُبيد ... رب الجنود سيحرق ... رب الجنود سيُدَمِّر ... رب الجنود سيُمَثِّل بالجثث ويقيم مملكته لقديسي العلى - شعبه المختار -

ويعاقب أتباعه إن لم يفعلوا كذلك وينحطُّوا معه إلى ذلك الدَرك الهابط الذميم .

من حقي إذن وأبنائي وبناتي والرضيع والوليد القادم في الطريق وأمي وزوجتي أن نخاف من « يهوه رب الجنود » وخوفنا عادل ومشروع ... وأن يكون عندنا من سيرته فزع دائم ورعب مقيم .

ولعله من المفيد هنا أن ننقل صورة عن التعامل الإسلامي في الحرب والسلام عن .... كاتب متهم بالتشدد وعدم المرونة .

يقول « سيد قطب » في كتابه « هذا الدين » فصل : « خطوط مستقرة » تحت عنوان : « ذمة وخُلق » - { دار الشروق ١٩٧٨ } :

« ... ولكن الإسلام حين جميع الناس على آصرة العقيدة ، وجعلها هى قاعدة التجمع أو قاعدة التفرقة ، لم يجعل الإكراه على العقيدة قاعدة الحركة فيه ، ولا قاعدة التعامل . ولم يجعل شريعة الغاب والناب هى التي تحكم علاقاته بالآخرين الذين لا يعتنقون عقيدته ، ولا يتجمعون على آصرته .

لقد فرض الله الجهاد على المؤمنين ، لا ليُكرهوا الناس على اعتناق الإسلام ، ولكن ليُقيموا في الأرض نظامه الشامخ العادل القويم . على أن يختار الناس عقيدتهم التي يحبون في ظل هذا النظام الذي يشمل المسلم وغير المسلم ، في عدل تام .

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لاَ انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

واعتبر الأرض التي يسيطر عليها النظام الإسلامي وتحكمها الشريعة الإسلامية هى « دار الإسلام » سواء أكان سكانها من معتنقي عقيدته كلهم أو كان بعضهم من معتنقي الديانات الأخرى ... واعتبر الأرض التي لا يسيطر

---

(١) البقرة : ٢٥٦

عليها النظام الإسلامي ولا تحكمها الشريعة الإسلامية هى « دار الحرب » أياً كان سكانها .

ولم يترك الأمر لشريعة الغاب والناب في العلاقات بين دار الحرب ودار الإسلام ، بل نظَّم هذه العلاقات تنظيماً دقيقاً ، يحكمه الخُلُق والنظافة والاستقامة .

فدار الإسلام إما أن تكون على عهد وميثاق مع دار الحرب ، فهو العهد المرعي والميثاق المحفوظ ، لا غدر فيه ولا خيانة ، ولا مباغتة ولا مفاجأة . إلى أن ينقضي الأجل ، أو يُنقض العهد مع أهل دار الحرب .

وأكد على الوفاء بالعهد ، مبطلاً حجة « مصلحة الدولة » فإنها لا تُجيز نقض العهود :

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ، إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) .

فإذا كانت الحرب ، فهى الحرب التي لا تُهتك فيها حُرمة ، ولا يُقتل فيها صبي ولا شيخ ولا امرأة ، ولا يُحرق فيها زرع ، ولا يُتلف فيها ضرع ، ولا يُمثَّل فيها بإنسان ، ولا تُصيب إلا المقاتلين الذين يحملون السلاح في وجه المسلمين ... وهذه وصية أبي بكر لجيش أسامة وهو ذاهب لمقاتلة الروم :

« لا تخونوا ، ولا تغلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة . ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة . وسوف تمرُّون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له ... اندفعوا باسم الله »
(ص : ٧٨ - ٩٠)

---

(١) النحل : ٩١ - ٩٢

وكان رحمه الله قد قال في نفس الفصل « خطوط مستقرة » وتحت عنوان « إنسانية كريمة » :

« وحادثة ابن القبطي الذي سابَقَ ابن عمرو بن العاص ، فاتح مصر ووالِيها فسبقه فضربه ابن عمرو ، فشكى أبوه إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأقصَّه منه في موسم الحج وعلى ملأٍ من الناس ... حادثة معروفة .

وقد اعتاد الكتّاب أن يقفوا فيها عند عدل عمر ... ولكن الحادثة أوسع دلالة على ذلك التيار التحرري الذي أطلقه الإسلام في ضمائر الناس وفي حياتهم ...

فمصر إذ ذاك بلد مفتوح . حديث العهد بالفتح وبالإسلام . وهذا القبطي قبطي لم يَزَل على دينه ، فرداً من جماهير البلد المفتوح . وعمرو بن العاص هو فاتح هذا الإقليم ، وأول أمير عليه من قِبَلِ الإسلام .... وحكّام هذا الإقليم قبل الفتح الإسلامي هم الرومان : أصحاب السياط التي تجلد ظهور شعوب المستعمرات ، ولعل ذلك القبطي كان ما يزال ظهره يحمل آثار سياط الرومان .

ولكن المد التحرري الذي أطلقه الإسلام في أنحاء الأرض أنسى ذلك القبطي سياط الرومان وذلها ، وأطلقه إنساناً حراً كريماً ، يغضب لأن يضرب ابن الأمير ابنه ، بعد اشتراكهما في سباق ، وهذه أُخرى ، ثم تحمله هذه الغضبة لكرامة ابنه الجريحة على أن يركب من مصر إلى المدينة ، لا طائرة ولا سيارة ولا باخرة ولا قطاراً ، ولكن جملاً ، يخب به ويقطع الأشهر الطوال ، كل ذلك ليشكو إلى الخليفة .. الخليفة الذي حرُّره يوم فتح بلده تحت راية الإسلام والذي علّمه الكرامة بعد أن نسيها تحت وقع سياط الرومان .

وهكذا ينبغي أن نفهم ، وأن ندرك عمق المد الإسلامي التحرري . فليست المسألة فقط أن عمر عادل ، وأن عدله لا تتطاول إليه الأعناق في جميع الزمان ، ولكن المسألة بعد ذلك أن عدل عمر - المُستمَد من الإسلام ومنهجه ونظامه - قد انطلق في الأرض تياراً جارفاً مُحَرِّراً مكرماً للإنسان .. بصفته : الإنسان » .
(ص : ٨٢ - ٨٣)

* * *

● حاشية :

كنت قد ذكرت نصاً « لإشعياء » ضمن النصوص نقلتها عنه وهو يتوعدنا - مصر - والعرب والعالَم بالخراب والتدمير والعبودية يقول :

« وحي من جهة بلاد العرب . في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين . هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه . فإنهم من أمام السيوف قد هربوا . من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب . فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار . وبقية عدد « قسى » أبطال « بني قيدار » تقل ، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم » (إشعياء ٢١ : ١٢ - ١٧) .

ولا بد من وقفة عند هذا النص ...

لقد أورد الكاتب الإسلامي الباكستاني « مولاى محمد علي » هذا النص في كتابه « محمد رسول اللّه » [ترجمه مصطفى فهمي وعبد الحميد جودة السحار - مكتبة مصر] مستشهداً به « كنبوءة » سابقة تُبشِّر بظهور النبي عليه الصلاة والسلام .

فقد قال : « وثَمَّ نبوءة سابقة تُحدِّد أرض النبي المنتظَر بأنها بلاد العرب لا غيرها ... » وذكر النص : « وحي من جهة بلاد العرب ... » إلخ .

ثم أردف مُعلِّقاً : « وكلمة بلاد العرب تبدهك بالدليل الكافي . ثم الإشارة إلى من هرب - أي هاجر - تزيد في إيضاح مَنْ تقصده هذه النبوءة .. وليس في تاريخ الوجود ذكر إلا لهرب واحد وهجرة واحدة .... وثَمَّ شهادة صريحة تقول إنه هرب (هاجر) أمام السيف المسلول ... » إلى أن قال : « وهذان الحدثان التاريخيان الصحيحان - مضافاً إليهما تحديد ذكر بلاد العرب عينها موضعاً لمولد النبي محمد ﷺ دليل لا سبيل إلى مناقشته على أن النبوءة تقصد النبي محمد ﷺ » (ص ٣٤ - ٣٥) .

لكن المسألة ليست على ما رأى « مولاى محمد علي » .

فكلام « إشعياء » - أو المنسوب إلى « إشعياء » - والذي أسماه « نبوءة » لا يقصد ذلك ألبتة ... إنها كمية الحقد الموجهة ضد العرب وتمني زوال مجدهم « يغنى مجد قيدار » - « وقيدار » هو أحد أبناء « إسماعيل » جد العرب . وحسن نية الكاتب المسلم وغيرته الإسلامية معروفة ومقدَّرة . ونبوءة النبي ﷺ ثابتة بكل مقياس صحيح في التراث الصحيح لبني إسرائيل ، وهو غير ذلك المنشور بين دفتي هذا الكتاب .

إن هذا الكلام الذي أسماه « مولاى محمد علي » نبوءة خاص ببني النضير ، عن واقعة إجلائهم من جزيرة العرب بعد حصارهم في صَياصيهم وطردهم إلى « تيماء » في بلاد الشام .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُواْ ، وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ ﴾ [1] ..... (صدق اللّه العظيم) .

قال القرطبي في تفسيره : « قال الزهري : وكان أول حشر حُشِروا في الدنيا إلى الشام ... قال قتادة : هذا أول الحشر . قال ابن عباس : هم أول من حُشِرَ من أهل الكتاب وأُخرِجَ من دياره . وقيل إنهم أُخرِجوا إلى خيبر ، وأن معنى ﴿ لأوّلِ الحَشْرِ ﴾ إخراجهم من حصونهم إلى خيبر . وقيل : تيماء وأريحاء »[2] .

وقال ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » [مطبعة السعادة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ، الجزء الرابع ص ٧٦] :

---

(١) الحشر : ٢

(٢) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن الكريم . الجزء الثامن عشر - مطبعة دار الكتب ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) ص ١٢

« فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم الذين شاقُّوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المُفضي لقتالهم - كما تقدم - حتى حاصرهم المؤيَّد بالرعب والرَهَب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال ، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقت به ركابهم ، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانة لهم واحتقاراً ، فجعلوا يُخَرِّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار » .

فالعطشى الهاربون إلى أرض « تيماء » بخبزهم - ما استقلّت به ركابهم - الذين أُجلوا بعد حصارهم هم يهود بني النضير ، وليست إذن هجرة النبي عليه الصلاة والسلام .

وهذا يدل على أن سفر « إشعياء » قد كُتِبَ بعد حادثة بني النضير وبعد إشعياء نفسه بحوالي ١٢٥ سنة على طريقة التبديل والتحريف والتزوير والإضافات التي صنعها تاريخ المؤامرة اليهودية .

ويعترف صاحب « الكتاب يتكلم » { مطبعة الشرق الأوسط . ١٩٥ } بأن الكتاب المقدس قد أُحرق كله ، فهو يقول تحت عنوان كبير بارز « أحرق الكتاب المقدس » { ص ٦ } : « نجد في (إرميا - ٣٦ : ٢٠ - ٢٣) أن الملك يهوياقيم ألتي الدرج المكتوبة فيه كلمات الله في النار فاحترق كله » .

وقد فتشتُ - أنا - في « إرميا » نفسه فوجدتُ النص الآتي :

« ثم دخلوا إلى الملك إلى الدار وأودعوا الدرج في مخدع « الياشاماع » الكاتب. وأخبروا في أُذني الملك بكل الكلام . فأرسل الملك يهودي ليأخذ الدرج فأخذه من مخدع « الياشاماع » الكاتب وقرأه في أُذني الملك وفي آذان كل الرؤساء الواقفين لدى الملك . وكان الملك جالساً في بيت الشتاء في الشهر التاسع والكانون قُدّامه متّقد . وكان لما رأى قرأ يهودي ثلاثة سطور أو أربعة أنه شقّه بمبراة الكاتب وألقاه إلى النار التي في الكانون حتى فنى كل الدرج في النار التي في الكانون » . (إرميا ٣٦ : ٢٠ - ٢٣)

وقد توصّل البروفسور « مونتيه Montet » في دراسته للوثائق الدينية إلى تجريد الكتاب المقدس من كل صفات الصحة التاريخية [1] .

ويعتبر كثير من علماء الآثار بالذات - أن بعض سفر « إشعياء » - إن لم يكن كله - لا يرجع نصه إلى عهد بعيد .

ويذكر صاحب « الكتاب يتكلم » أنه قد عثر على سفر « إشعياء » ويُعلّق على ذلك بقوله : « الأمر الذي قابله علماء الآثار الكتابية بدهشة شديدة وارتياح كثير ، لا سيما ولم يكن لديهم من المخطوطات العبرية ما يرجع إلى أبعد من القرن التاسع بعد الميلاد . أما هذا الاكتشاف العجيب لا بد وأن يُلزم العلماء المدّعين بأن بعض سفر إشعياء لا يرجع نصه إلى عهد بعيد » (ص ١٢) .

فلا نبوءة إذن ولا يحزنون ... إن هو إلا ورى أكباد مريضة ، وعصارة مرارة معتلة ، وغل صدور طفحت شعابها بصديد البغضاء !!

إنه سجل المؤامرة الموجهة ضد كل الناس .. كتبته أقلام مدادها الحقد والكراهية والتربص بالأمم واغتيال الشعوب !!

بقيت نقطة لا ينبغي أن تفوتني في هذا التعليق ...

إننا لسنا مطالبين « بالتهافت » في التماس البشارة بنبوّة نبينا عليه الصلاة والسلام فيما يُسمى بالكتاب المقدس ، لأننا سنقع - من حيث لا ندري - في اعتراف ضمني بصحة وحيه ، ومن ثَمّ ، بصدق ما تضمّنه بين دَفتيه من رجس الخرب !!

ولا أريد الاسترسال في هذا التعليق حتى لا أقع في مقولة تفتيت الوحدة الوطنية أو معاداة الثقافة العبرية !!

* * *

(١) الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي - ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين - دار الفكر ١٩٦٨ - ص ٩٥